الأستاذة الحمومي سعاد

المطبوع رقم 3

العولمة

مقاومة واستثمار

تأليف

د. إبراهيم الناصر

بسم الله الرحمن الرحيم

ح مجلة البيان، ١٤٢٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الناصر، إبراهيم ناصر

العولمة مقاومة واستثمار، إبراهيم ناصر الناصر، الرياض، ١٤٢٦هـ

٦٠ ص؛ ١٤ X ٢٠

ردمك: ٣ - ١ - ٩٦٣٧ - ٩٩٦٠

١ - العولمة ٢ - العلاقات الاقتصادية الدولية

أ - العنوان

ديوي ١ر٣٨٢ ١٤٢٦/٢٨٨٣

رقم الإيداع: ٢٨٨٣ / ١٤٢٦

ردمك: ٣-١-٩٦٣٧-٩٩٦٠

العولمة
مقاومة واستثمار

تمهيد:

هذا الكتيب محاولة اجتهادية لطرح رؤية موضوعية لقضية العولمة، وهي الجمع بين فكرة المقاومة والاستثمار؛ وذلك أن جزءاً من الخطاب الإسلامي تجاه هذه القضية يتناول جانب المقاومة وبيان المخاطر الضخمة للعولمة؛ وهذا حق لا مرية فيه وأمر مهم لا بد منه. ولكن جانب الصورة الآخر يبدو أنه لا يقل أهمية على الرغم من قلة من يتطرق إليه؛ حيث نتلمس وجودنا الإسلامي من خلال خريطة العولمة الضخمة والسريعة الإيقاع فيما نسميه في هذا الطرح بـ (الاستثمار).

وهناك جانب آخر وهو جانب تصوريٌّ يساعد على التوصل إلى الحكم السابق، وهو فهمنا لطبيعة هذه العولمة من خلال الملامح والواقع والمستقبل، وأن فيها جانباً ليس إرادة مقصودة للأقوياء، وينبني على هذا الفهم أن بعض سلبياتها قد يرتد على أصحابها؛ فهل تنجح هذه الأطروحة في تحويل بعض صور الخطاب العام حول هذه القضية ليكون أكثر تحليلاً وموضوعية؟

مقدمة:

أول من أشار إلى هذا المصطلح بمفهومه الجديد هو العالم الكندي «مارسال ماك» أستاذ الإعلاميات السوسيولوجية في جامعة تورنتو في كندا، عندما صاغ في عقد الستينيات مفهوم القرية الإلكترونية، ثم ذاع وانتشر في مجال الاقتصاد والأسواق والاتصالات في بداية عقد التسعينيات، وقد رسَّخ هذا المصطلح الجديد حصول حدثين ضخمين أثَّرا في حركة العلاقات الدولية واتجاهاتها وعلى موازين القوى في العالم(١):

الأول: سقوط المعسكر الشرقي الذي اتخذ من سقوط جدار برلين رمزاً له في عام ١٩٨٩م، والذي أنهى فترة من الحرب الباردة بين المعسكرين (وارسو، الأطلسي) بدأت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وصاحبها حالات من الاستقطاب والمد والجزر في علاقات هذين المعسكرين؛ وصلت في الجَزْر إلى التهديد بحرب عالمية ثالثة مباشرة أثناء أزمة الصواريخ الكوبية، وفي المد إلى الاتفاق على تقسيم مناطق نفوذ في بعض بقاع العالم، وبين ذلك حصلت حروب بالوكالة كما حصل في

(١) أصل هذا الكتاب مقالة نشرت في مجلة البيان في عددها رقم (١٦٧) رجب ١٤٢٢هـ، قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م، وما تلاها من حوادث مست بعض جوانب في ظاهرة العولمة، لم أتطرق لها لهذا السبب إلا أن بعض الإحصائيات تم تحديثها.

فيتنام وأفغانستان. وقد أتاحت حالة الحرب الباردة والصراع والتنافس العالمي على مناطق النفوذ؛ وجود هامش من الحرية لما سمي بـ(دول عدم الانحياز) مكّن كثيراً من الدول من الاستقلال النسبي عن الدولتين الكبيرتين أو إحداهما.

ثم جاء الحدث الآخر الكبير: وهو حرب الخليج الثانية في عام ١٩٩١م، وهي حرب شبه عالمية لكن من طرف واحد ودون تكافؤ في القوى. وانتهت هذه الحرب بانتصار أمريكي غربي أضيف إلى ذلك النصر التاريخي على المعسكر الشرقي. وهذان الانتصاران أتاحا لأمريكا نوعاً من السيادة العالمية؛ مستغلة تقدمها التقني والاقتصادي وقوتها العسكرية في تكريس هذه السيادة. فبدأ في هذا الظرف التاريخي ظهور مصطلحات جديدة وانتشارها؛ مثل «العالم الجديد»، ومثل «العولمة». وهذا المصطلح الأخير أخذ حظه من الانتشار باعتبار أنه يمثل حركة الهيمنة والسيادة الغربية بأسلوبها الحضاري الجديد، وظهرت أعمال وكتابات كثيرة لدى الغربيين تؤدلج هذه الفكرة مثل فكرة «نهاية التاريخ»، وكذلك فكرة «صراع الحضارات» وإن كانت سابقة لفكرة نهاية التاريخ إلا أنها شُهرت فيما بعد.

تعاريف:

للعولمة تعريفات بعدد الدارسين لها حسب الانتماء الفكري والمستوى الثقافي والموقف منها قبولاً ورفضاً. ومما يجدر ذكره أن البعد الاقتصادي

يأخذ النصيب الأكبر في أدبيات الكُتَّاب الغربيين عن العولمة لقوة تأثيره على الدول والمجتمعات وارتباط كثير من المجالات به. وكمثال لذلك كتاب: «فخ العولمة»؛ فإنه يركز على البعد الاقتصادي وأثره على المجتمعات الغربية. كما أن العولمة الاقتصادية هي المجال الوحيد الذي اتُّفق على تعريف له؛ حيث تبنَّى مؤتمر الأمم المتحدة للإدارة والتنمية UNCTAD تعريفاً لها يقوم على فكرة فتح الأسواق والتبادل الحر وتقليل سلطة الدولة على حركة الاقتصاد. لكن هذا المصطلح اكتسب فيما بعد دلالات استراتيجية وثقافية مهمة من خلال تطورات عديدة بدأت منذ منتصف التسعينيات من القرن الميلادي الماضي. ومن هنا لا نستطيع أن نتوقف عند هذه النظرة والرؤية الجزئية للعولمة، وإن كانت مهمة. ولذا عبَّر كثير من المفكرين والكتاب عن رؤية أشمل للعولمة. وهذه النظرة الشمولية بدأت تظهر أخيراً في الكتابات الغربية. ومن ذلك أن كاتبين غربيين أصدرا في عام ٢٠٠٠م كتاباً بعنوان: «إعادة النظر في العولمات» هكذا بصيغة الجمع Rethinking Globalization(s).

ونستطيع أن نلخص أهم توصيفات العولمة وملامحها بما يلي:

هي التوجه الأيديولوجي لليبرالية الجديدة التي تركز على قوانين السوق، والحرية المطلقة في انتقال البضائع والأموال والأشخاص والمعلومات في الاقتصاد، وعلى فكرة الديمقراطية في البعد السياسي، وعلى مفهوم الحرية شبه المطلقة والمساواة التماثلية في البعد الاجتماعي.

فهي نظام عالمي يشمل المجالات السياسية والفكرية والثقافية والاجتماعية، كما يشمل مجال التسويق والمبادلات والاتصال.

ويرى بعضهم أنها فكرة تعبِّر بصورة غير مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وتغريبه أو أمركته؛ مستغلة التطور الحضاري الذي يشهده العصر وآلياته ومظاهره؛ فالهيمنة العسكرية بواسطة الأحلاف العسكرية، وأبرزها حلف الأطلسي، والسياسية بواسطة الهيمنة على مجلس الأمن، والاقتصادية من خلال المنظمات الدولية الاقتصادية مثل منظمة التجارة العالمية، والاجتماعية من خلال مؤتمرات دولية وإقليمية، والفكرية من خلال القوانين والاتفاقيات والصكوك الدولية في هذا المجال؛ مدعومة بقوة دفع ضخمة بواسطة إمبراطوريات إعلامية وشبكة معلومات دولية (إنترنت) يسيطر الغربيون على معظمها؛ فهي «الفيروس الليبرالي» حسب تجمع مناهضي العولمة في هضبة لارزاك جنوب فرنسا؛ فاللواء انعقد لأخلاقيات الديمقراطية الليبرالية على مفهوم فوكوياما في نهاية التاريخ والذي ستنتهي بعده الجغرافيا، فهي ظاهرة رأسمالية ليبرالية بقيادة أمريكية، ينكمش فيها دور الدولة، ويسير العالم وفق نسق وحيد ونموذج واحد هو الرأسمالية الليبرالية؛ أي أنها (إمبريالية جديدة) بلغة اليسار، أو (استعمار جديد) حسب المفكر الفرنسي جارودي.

وفي المقابل يرى بعض آخر أن العولمة هي اتجاه فطري للإنسان يتسارع أثره مع تطور آليات الاتصال بين المجتمعات وتركيز الصناعات، وتجاوز

المجتمع التقليدي، وأنها مظهر من مظاهر التطور الطبيعي الحضاري المعاصر، سبقه مرحلة الاستعمار العسكري ثم الاستعمار الثقافي السابقة لمرحلة العولمة؛ فالمجتمعات الأكثر حضارة تفيض على المجتمعات الأقل حضارة بشكل تلقائي عبر قنوات تصل بين المنبع والمصب؛ بسبب سهولة العلاقات وتجاوز العوائق والحواجز. فهو نظام رأسمالي أكثر تكاملاً وتطوراً، وليس رسملة للعالم بالمفهوم الغربي أو الأمريكي.

وقد يُعبَّر عن ذلك بطريقة أخرى فيقال: إن ما يحدث هو إفراز من إفرازات الدولة الحضارية في لحظة تضخم قوتها في المجالات المختلفة على العالم من حولها... هكذا يعبر بعضهم.

ويتفق كثير من المفكرين على أنها آلية يمكن أن تؤدي بشكل متسارع إلى نشوء نظام عالمي جديد بواسطة ثلاثية: التكنولوجيا، ورأس المال، والإدارة. وتشمل: السياسة، والاقتصاد، والثقافة، والاجتماع، والأعراف، ليؤسس القرية العالمية الجديدة التي تقوم على ثورة الكمبيوتر والاتصالات، والثورة المعلوماتية، والأسواق المفتوحة، والشركات متعددة الجنسيات؛ لتوحيد مصير الإنسانية.

هذه أهم الأدبيات في توصيف واقع العولمة ومستقبلها؛ على أن الساحة الفكرية المنظِّرة لفكر العولمة لا تخلو من اتهام صائب بالمبالغة لبعض هذه الأطروحات.

أسئلة العولمة:

تثير العولمة عدة أسئلة؛ أهمها:

- هل العولمة ظاهرة عفوية، أم أنها بإرادة مقصودة؟
- هل العولمة ظرفية أو أبدية (مرحلة تاريخية أم حتمية حضارية)؟
- هل نصلح الإنسان ليتوافق مع ظاهرة العولمة، أم نصلح الظاهرة لتلبية احتياجات الإنسان؟
- هل تراعي العولمة الهدف الاقتصادي المصلحي، أم الهدف الاجتماعي الأخلاقي؟
- هل العولمة ستزيد الفقير فقراً والغني غنى، أم أنها ستعالج أوضاع الفقراء؟
- هل العولمة ستؤدي إلى البطالة، أم إلى تحسين فرص العمل؟
- هل العولمة عقيدة جديدة، أم مصالح سياسية واقتصادية؟
- هل العولمة أمريكية، أم أنها مرحلة من مراحل الحضارة البشرية؟
- هل الأولوية المؤثرة في تشكيل مشروع العولمة لميزان القوى العسكري والسياسي، أم للتقدم في مجال التكنولوجيا والمعلومات والاتصالات؟

أو بمعنى آخر: هل العولمة مظهر من مظاهر التطور الحضاري الطبيعي

الذي يشهده العصر ولكنه يتم بمقاييس الأقوياء، أم أنها عقيدة تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم من قِبَل الأقوياء؟ ليكن الحال مزيجاً من الأمرين، فالمسألة نسبية والنتيجة واحدة، وهي: سيطرة الأقوياء مادياً وحضارياً على الضعفاء مستخدمين قدراتهم وسبقهم في توظيف آليات العولمة وثمار التقنية لصالحهم؛ حتى تتم عملية «تغريب العالم» كما وصفها أحد الكتاب الغربيين، أو «أمركة العالم» حسب وصف أحد الكتاب الشرقيين، مستندين إلى مثل ما دعا إليه الرئيس الأمريكي السابق كلينتون عندما قال: «إن أمريكا تؤمن بأن قيمها صالحة لكل الجنس البشري، وإننا نستشعر أن علينا التزاماً مقدساً لتحويل العالم إلى صورتنا»، وقبله مستشار الرئيس كارتر «زبيجنيو بريجنسكي» (١٩٧٧ - ١٩٨٠م) الذي أشار إلى أن تقدم أمريكا التي تمتلك ما يزيد على ٦٥٪ من المصادر الإعلامية يمكن أن تكون نموذجاً كونياً للحداثة (عولمة النموذج)، فالتطوير والتحديث يساوي التغريب عند منظري العولمة وأرباب القرار فيها.

* * *

مجالات العولمة

تظهر العولمة في مجالات عديدة من مجالات الحياة التي تشكل شبكة العلاقات الدولية المعاصرة، وأهم هذه المجالات:

أولاً: المجال الاقتصادي:

وترتكز العولمة فيه على فكرة وحدة السوق، وإزالة العوائق أمام حركة رأس المال، وحرية الاقتصاد، واتخاذ الدولار معياراً للنقد، وتحويل المجتمعات إلى مجتمعات منتجة هي مجتمعات الدول الصناعية، ومجتمعات مستهلكة هي مجتمعات الدول الأخرى؛ ليصبح مظهر التأثر الاستهلاكي للعولمة هو لبس الجينز، وشرب الكوكا كولا، وأكل الهمبرجر، ومشاهدة المحطة الأخبارية CNN، وكلها نتاج أمريكي، لدرجة أن الرئيس الفرنسي السابق فرانسوا ميتيران وقف يخطب في الجموع المحتشدة محذراً من تفشي ظاهرة لبس بنطلون الجينز بين الشباب الفرنسي؛ لأنه مظهر من مظاهر الغزو الأمريكي.

ومن أبرز مظاهر العولمة الاقتصادية (خاصة بعد إنشاء منظمة التجارة العالمية WTO) عام ١٩٩٥م:

- هناك اتجاه متزايد نحو إنشاء سوق مالية عالمية موحدة تضم معظم أو كل البورصات العالمية، وتعمل لمدة ٢٤ ساعة، فبورصتا لندن

وفرانكفورت اللتان تتعاملان بنحو ٥ آلاف مليار دولار، تتجهان للتوحد ومثلها بورصات أوروبية أخرى، وهذا من معاني قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «يوشك أن لا تقوم الساعة حتى يُقبَض العلم، وتظهر الفتن ويكثر الكذب، ويتقارب الزمان وتتقارب الأسواق»(١).

ـ تحول الاقتصاد من الحالة العينية (التبادل بالسلع عينياً بيعاً وشراء) إلى الاقتصاد الرمزي، والنبضات الإلكترونية، وزيادة حجم التجارة الإلكترونية، وما يجري اليوم في عالم رأس المال الورقي في المضاربات على العملة وفي الأسهم وما شابه ذلك؛ يزيد على ٣٠ ضعفاً على ما يتم في نطاق حركة البضائع، وهي نسبة تزيد هوتها باستمرار بين التجارة الفعلية والتجارة الورقية.

ـ ازدياد تحول رأس المال من وظيفته التقليدية كمخزن للقيمة ووسيط للتبادل إلى سلعة تباع وتشترى في الأسواق (تجارة النقود)؛ حيث يدور في أسواق العالم ما يزيد على ١٠٠ تريليون دولار، يضمها ما يقرب من ٨٠٠ صندوق استثمار، يتم التعامل اليومي بما يقرب من ١٥٠٠ مليار دولار.

ـ أصبحت المنافسة هي العامل الأقوى في تحديد نوع السلع التي تنتجها الدولة، ومن ثم فإن كثيراً من الدول قد تخلت عن إنتاج وتصدير

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه ١٥/ ١١٣.

بعض سلعها لعدم قدرتها على المنافسة، مثل: صناعة النسيج في مصر التي تأثرت أمام منافسة دول جنوب شرق آسيا.

ـ إعادة هيكلة الاقتصاد والسعي إلى الخصخصة في البلاد ذات الأنظمة الاقتصادية الشمولية أو شبه الشمولية.

وتستخدم العولمة الاقتصادية عدداً من الوسائل والآليات:

١ ـ **صندوق النقد الدولي والبنك الدولي**: وهما منظمتان أمميتان. فالأول يقوم على ضبط النقد الدولي واستقراره واستخدام الإقراض بشروط قاسية لهيكلة الدول المحتاجة، والآخر يمارس عمليات الإقراض ودراسات الجدوى في مجال الإنشاء، والتعمير للدول المتضررة من الحروب والدول الفقيرة ضمن شروط قاسية على كثير من الدول المستفيدة.

٢ ـ **منظمة التجارة العالمية**: من خلال قوانينها في السلع والخدمات وحقوق الملكية الفكرية، ومن خلال هيئة فض المنازعات والتحكيم؛ حيث تحوَّل مفهوم التجارة لدى المنظمة من مفهوم تقليدي إلى مفهوم يشمل: البيئة، والعمل، وحقوق الإنسان، والعمال. وهذه المؤسسات الثلاث تشكل ثالوثاً خطراً يمكن أن يمسك بخناق الدول الفقيرة، حتى يجعلها في تبعية شبه كاملة للغرب وشركاته.

٣ ـ الإعلاء والدعاية الإعلامية: وهي من أوضح الوسائل لترويج المنتجات الاستهلاكية، وتروج معها بشكل غير مباشر البيئات المطلوبة

التي هي إفراز للثقافة والمصالح الغربية، وتقوم إمبراطوريات إعلامية على خدمة الدعاية والإعلان، وتنفق الشركات الكبرى مئات الملايين من الدولارات سنوياً على هذه الخدمة.

٤ - **الشركات الكبرى المتعددة الجنسيات**: التي نجح الكثير منها في الهيمنة على السوق بنوعية منتجاتها وخدماتها، وبضخامة رأس مالها، وباندماجاتها التي أدخلت العالم فيما سمي بعصر «الدينا صورات الإنتاجية»، وروجت لفكرة «نهاية الجغرافيا» التي تعني اختراق هذه الشركات لحدود الدول والتدخل في شؤونها.

ولقد شهد العالم في الفترة الأخيرة اندماجات ضخمة بين شركات عملاقة Mega Mergers فمثلاً:

أ- في مجال السيارات: اندمجت مرسيدس مع كرايزلر.

ب- وفي مجال النفط: اندمجت شركة أكسون مع شركة موبيل.

ج- وفي مجال الاتصالات: اندمجت شركة AT&T مع برتش تلكوم.

د- وفي المجال المصرفي: اندمج Citi corp مع Travelers group.

ويكفي أن نعلم أن رأس مال الشركات المندمجة في مجال الحاسبات فقط على مستوى العالم قد قفز إلى ٣ تريليون دولار عام ٢٠٠٤م، وقد

بلغت عام ١٩٩٩م ٢٤٦ مليار دولار، بينما كانت ٢١ مليار دولار عام ١٩٨٨م. حسب (dubiphoto media com).

وهناك صناعات أخرى لم تُذكر: كالتأمين، وصناعات الطائرات المدنية والحربية. وفي المجالات المذكورة أمثلة أخرى مهمة جداً.

وقد يكون من المناسب التذكير بالتغيُّر الذي طرأ على موقف الحكومات الغربية من مثل تلك الممارسات؛ فقد كانت تلك الممارسات تعد صيغة احتكارية يمنع منها القانون، ولكن اللعبة الاقتصادية تغيرت، والسوق كبرت، وأصبح التحدي ليس محلياً، بل ولا غربياً، وإنما على مستوى العالم كله؛ مما حدا بالدول الغربية إلى تجاوز الفهم التقليدي للاحتكار في أسواقها لمساعدة شركاتها للحصول على نصيب أكبر من السوق العالمية.

ثانياً: **المجال الاجتماعي**:

وذلك بتنميط العالم على نحو من نمط المجتمعات الغربية (تغريب العالم) ولا سيما أمريكا (الأمركة)؛ وذلك بنقل قيم المجتمع الغربي والأمريكي خاصة ليكون المثال والقدوة، سواء ما نقل منها بإرادة مقصودة، أو ما انتقل منها نتيجة طبيعية لرغبة تقليد الغالب؛ لأن الأمة المغلوبة مولعة بتقليد الغالب؛ كما قال ابن خلدون.

وتسلك العولمة الاجتماعية وسائل لذلك؛ منها:

أ- المؤتمرات الدولية في مجال المرأة والشباب والأطفال والسكان والتنمية الاجتماعية والمستوطنات البشرية، والتي شهدتها حقبة التسعينيات من القرن الميلادي الماضي بشكل كبير وما زالت متواصلة؛ حيث تطرح وثائقها وتوصياتها نموذج الحياة الاجتماعية الغربية. ومثالاً على ذلك ما طرح في وثيقتي مؤتمر السكان في القاهرة عام ١٩٩٤م، ومؤتمر بكين عن المرأة عام ١٩٩٥م.

ب- نقل السلوكيات والعادات الغربية من خلال المواد الإعلامية في القنوات الفضائية وشبكة الإنترنت. والمثال على ذلك عيد الحب Vaientine، وهي عادة غربية ذات أصول دينية وثنية لا أخلاقية غربية، وقد بدأ ينتشر حتى في المجتمعات المحافظة كبعض دول الخليج.

ثالثاً: المجال الفكري والثقافي:

وذلك بترويج الأيديولوجيات الفكرية الغربية، وفرضها في الواقع من خلال الضغوط السياسية والإعلامية والاقتصادية والعسكرية أيضاً؛ وذلك في مجالات عدة كحقوق الإنسان، والديمقراطية، وحقوق الأقليات، وحرية الرأي، وحتى يتحقق ما روج له دعاة العولمة من «نهاية الأيديولوجيا»، والتي تعني القضاء على الدين والفكر والقيم والأخلاق.

وتستخدم في ذلك آليات ووسائل منها:

أ- إصدار الصكوك والاتفاقيات الدولية المصوغة بوجهة نظر غربية

علمانية، والضغط من أجل التوقيع عليها، مثل: (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، مكافحة التمييز ضد المرأة.. إلخ). وهذه الاتفاقيات وإن كان فيها بعض الحق الناتج من توافق بعض مخرجات العقول المتجردة مع الشرائع السماوية؛ فهي مبنية أساساً على فكر لا ديني ومصوغة بوجهة نظر غربية صرفة، ولا يتيح القانون الدولي التحفظ على البنود الموضوعية المهمة فيها عند التوقيع عليها.

ب- إصدار القوانين من أجل استخدامها ضد دول العالم الثالث باسم حماية الأقليات، مثل قانون التحرر من الاضطهاد الديني الصادر عن الكونجرس الأمريكي الذي طالما لوحت به أمريكا ضد مصر والسعودية.

ج- إصدار التقارير الدورية للضغط الإعلامي والسياسي والاقتصادي على المجتمعات الأخرى، مثل إصدارات الكونجرس الأمريكي وتقارير وزارة الخارجية الأمريكية الدورية عن حقوق الإنسان، وإصدارات المنظمات العالمية الكبرى الدورية والاتحاد الأوروبي.

رابعاً: المجال السياسي:

وذلك من خلال استخدام الأمم المتحدة بعد الهيمنة عليها وعلى مؤسساتها السياسية المؤثرة، خاصة مجلس الأمن الذي تعد قراراته ملزمة عالمياً، واستخدام حق النقض (الفيتو) عند الضرورة أو التلويح باستخدامه لمنع أي قرار لا يريده الغرب وخاصة أمريكا. ولعل ما يجري الآن من تعسف أمريكي بدعم بريطاني، ومجاملة من بقية الأعضاء

الدائمين في استعمال هذه المنظمة العالمية لتكريس هيمنة أمريكا دليل على ذلك. وما كشفه (بطرس غالي) الأمين العام السابق للأمم المتحدة في كتابه: «بيت من زجاج» بعد خلافه مع أمريكا هو غيض من فيض.

خامساً: المجال العسكري:

وذلك من خلال الأحلاف والمعاهدات العسكرية التي تعقدها الدول الكبرى، وبخاصة أمريكا مع الدول الصغيرة، ومن خلال الأحلاف الإقليمية التي تكون هذه الدول طرفاً فيها، وكذلك من خلال حلف الأطلسي الذي حددت أهدافه تجاه الجنوب بعد أن كان تجاه الشرق بعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفييتي، وانحلال حلف وارسو.

* * *

آليات العولمة التقنية

آليات العولمة التقنية هي الوسائل التقنية التي تعد ثمرة المعرفة العلمية، ونتاجاً للثورة التقنية الضخمة التي يشهدها الغرب؛ حيث تضاعفت الاختراعات التقنية بشكل كبير ربما يصل إلى معدل اختراع أو اكتشاف جديد كل دقيقتين. وأبرز مجال يشهد ثورة تقنية ضخمة هو مجال الاتصالات.

ومن مظاهر ذلك ما يلي:

- سوف يدور قريباً حول الأرض حوالي ٢٠٠٠ قمر صناعي للاتصالات المدنية سوى أقمار التجسس والأقمار ذات الأغراض العسكرية. ويكفي أن نعرف أن (بيل غيتس) صاحب شركة مايكروسوفت وعد بمفرده بإطلاق ٥٠٠ قمر صناعي لخدمة الاتصالات ونقل المعلومات حسب (شبكة الإنترنت للإعلام العربي، ٢٠/ ٤/ ٢٠٠٤م).

- تضاعف استخدام هذه التقنية عالمياً حتى جاوز الوقت الذي استهلك في الاتصالات ١٧٠ مليار دقيقة في عام ٢٠٠٤م، وتضاعف سوقها حتى تجاوز الآن تريليون دولار سنوياً، ويزداد بنسبة ١٠٪ سنوياً حسب (midallecast-online.com).

- ستقل تكلفة الاتصالات إلى أن تصبح شبه مجانية في غضون السنوات العشر القادمة. فعن طريق الإنترنت الآن بإمكان أي شخص في منطقة الخليج الاتصال بأوروبا وأمريكا بتكلفة لا تزيد عن ٤ سنتات للدقيقة.

- صرحت شركة كيوويست Qwest للاتصالات الأمريكية أن نظامها التقني الحديث يستطيع نقل كمٍّ هائل من المعلومات، يوازي ما تحويه مكتبة الكونجرس من واشنطن إلى أي مكان في العالم خلال مدة لا تتجاوز عشرين ثانية.

- التطور التقني القادم سيشمل أجهزة التلفاز خاصة بعد تطوير الشاشة عالية الوضوح (High definition TV)، وسيكون الدخول إلى الإنترنت عن طريق التلفاز والتحكم بالبرامج أسهل. وقد بدأت الكثير من القنوات التلفزيونية بث برامجها عبر شبكة الإنترنت Web TV مثل: قناة CNN، وقناة الجزيرة، وغيرهما.

- ومع تطور كاميرات الفيديو الرقمية؛ سيكون بإمكان الأشخاص العاديين بث برامج ومعلومات عبر قنوات ومحطات شخصية خاصة بهم، كما هو الحال في مواقع شبكة الإنترنت.

- وفي مجال الإنترنت - وهي الشبكة التي حطمت القيود والحواجز وحققت وحدة معلوماتية - نرى أهمية هذه الشبكة وخطورتها من خلال سعتها ومحتوياتها، وحرية استخدامها وسهولته، ومن ذلك:

* مستخدمو الإنترنت أكثر من ٦٠٠ مليون مستخدم في نهاية عام ٢٠٠٣م، وهم يتزايدون بمعدل ١٥٠ مليوناً سنوياً في أمريكا ٢٩٪، وفي أوروبا ٢٣٪، وفي أمريكا اللاتينية ٢٪. كما أن مواقع الإنترنت (Web Sites) التجارية والحكومية والخاصة قد زادت على مليار موقع، وهي تزداد يومياً بشكل سريع.

* طرحت بدائل جديدة للتجارة مثل التجارة الإلكترونية E-Commerce، ونشأت الأسواق الإلكترونية، وتحققت وحدة للسوق العالمي، وضُخت مليارات الدولارات في هذا السوق. ولمثل هذا الغرض أنشأت إمارة دبي مدينة الإنترنت. وقد يكون هذا بعض معنى ما روي عن النبي ﷺ في تقارب الأسواق في آخر الزمان.

* زادت صفحات الإنترنت في الفترة نفسها على ٤,٢ مليارات صفحة، المستخدمون العرب حوالي ١٢ مليوناً؛ أي ٢٪ من إجمالي المستخدمين معظمهم في الإمارات، والسعودية، ومصر، والمغرب، حسب دراسة وحدة أبحاث مجلة إنترنت العالم العربي (bbc.com.uk).

* اشتعلت المنافسة في الآونة الأخيرة بين محركي البحث yahoo و Google؛ حيث يغطي الأخير حوالي ٣٠٪ تقريباً من الشبكة، وهو يعد أكبر محرك بحث على الشبكة، وقد كشفت شركة غوغل في عام ٢٠٠٤م عن نسخة متطورة جداً تتعلق ببرنامج للبحث الإلكتروني سيوفر ٤,٢٨ مليار صفحة إلكترونية، تتواكب مع الزيادة اليومية المذهلة في عدد

صفحات الإنترنت (arabic.cnn.com).

وللعلم فإن الإحصائيات المتعلقة بالإنترنت ليست دقيقة؛ وذلك لصعوبة تحقيق ذلك في مثل نظام الشبكة، لكن المقصود هو تقريب الصورة.

مخاطر العولمة:

للعولمة مخاطر ضخمة ومفاسد جمة من خلال تحوُّل العالم إلى غابة إلكترونية يستعلي فيها الكبار على الصغار. وتظهر هذه المخاطر داخل المجتمع للدولة الواحدة، وكذلك داخل المجتمع العالمي، والشعور بالخطر يعكسه انتشار مصطلحات كثيرة من مثل: الهيمنة، والأمركة، والسيطرة، وعناوين مفزعة لمقالات وكتب مثل: العولمة ـ الخطر على الهوية والكيان، ومثل: نهاية الجغرافيا، نهاية التاريخ، نهاية الدولة القومية، نهاية الأيديولوجيا، نهاية الهوية، طوفان العولمة وغيرها. ومن أهم المخاطر:

الخطر المجتمعي:

يحذر علماء الإصلاح الاجتماعي من أن أسوأ ما يقع على الأمم هو انقسام مجتمعها إلى طبقات الأغنياء والفقراء، وأن الآثار السيئة لتكدس الأموال في أيدي قلة من الناس تسبب تسلطهم وتحكمهم في مصير الكثرة، وتسخّرهم لخدمتهم بغير حق. وكمثال لذلك أمريكا ذات النظام الديمقراطي. وكيف يؤثر المال في امتلاك وسائل الإعلام ومن ثَمَّ التأثير

على العملية الانتخابية؛ بحيث لا تعبِّر في النهاية عن رأي الأغلبية. ولهذا كان منهج الإسلام هو وجود تشريعات تمنع أن يبقى المال دُولَة بين الأغنياء؛ وقد ظهرت الطبقية والاحتكار من خلال إيجاد آليات وهياكل ومؤسسات اجتماعية، سواء كانت اقتصادية أم قانونية أم تشريعية، يتم من خلالها توجيه المال والسلطة والتأثير للأغنياء دون الفقراء، وتكرس انعدام الفرص أمام الفقراء في مزاحمة الأغنياء، بل ويكون المال والغنى معياراً لكثير من المناصب والمهام.

ومن ذلك التشريعات الخاصة ببعض الأسواق التجارية والبورصات، والتشريعات القانونية (غير المكتوبة) في أمريكا والمنحازة إلى فئة دون أخرى، ومن ذلك ما يظهر في طبيعة هيكلة الأحزاب السياسية.

ثم إن الضغوط التنافسية والتسابق على كسب الأسواق تجعل القرار السياسي والقرار الاقتصادي يتحيز لرأس المال على حساب العمال والخدمات الاجتماعية؛ فكثرة الإعفاءات، وتخفيف الضرائب، وتقليل امتيازات العمال من أجل جذب وإبقاء الاستثمار محلياً، وحتى لا ينزح خارجياً، ولتخفيف تكلفة الإنتاج ورفع درجة تنافسية المنتجات الوطنية في الداخل والخارج. وقد حذرت مجلة Foreign Affairs الأمريكية في عدد سابق من نشوب ثورة اجتماعية عالمية بعد نقدها لفكرة العولمة؛ لأنها تترك وراءها الملايين من العمال الساخطين، وحالات اللامساواة، والبطالة، والفقر المستوطن، واختلال التوازن الاجتماعي، بالإضافة إلى

تخلي الدولة عن مواطنيها، ونشوء الطبقية الفاحشة داخل مجتمع الدولة الواحدة. كذلك تسبب تكريس الهوة بين الدول النامية والدول المتقدمة، وبين أغنياء العالم وفقرائه؛ بسبب النمو غير المتكافئ وتركُّز الثروة والطبقية، وتآكل الطبقة الوسطى على مستوى البلد الواحد وعلى مستوى الدول.

ومن مظاهر الخطر المجتمعي:

- ثلاثة هم أغنى أغنياء أمريكا على رأسهم (بيل غيتس) أغنى رجل في العالم (٤٦,٦ مليار دولار) ثروتهم أكثر من ثروة قارة إفريقيا كلها التي فيها أكثر من ٧٩٠ مليون نسمة، وحوالي ٣٠٪ من الثروة في أمريكا يملكها ٢,٢٧ مليون شخص من ٢٩٢ مليون سكان أمريكا. (تقرير الثروة العالمية لعام ٢٠٠٤م) (www.balagh.com. http://arabic.cnn.com).

- تقرير جديد عن الفقر ستصدره الأمم المتحدة قريباً في عام ٢٠٠٥م أوضح أن العالم يوجد فيه أكثر من مليار شخص يعيشون على أقل من دولار واحد في اليوم وأكثر من ٢,٧ مليار شخص يعيشون على أقل من دولارين في اليوم. www.un.org.

- ٢٠٪ من سكان العالم يملكون ٨٠٪ من ثروته، والباقي من السكان يملكون الباقي من الثروة، ومن هنا ظهر مصطلح مجتمع الخمس أو مجتمع العشرين ثمانين حسب اصطلاحات العولمة الجديدة.

- حركة المال العالمي اليومي تزيد على ١٠ تريليونات دولار، يملك معظمه عدد محدود من الشركات والأشخاص في هذا العالم، معظمهم في العالم الغربي.

- التجارة الإلكترونية (السوق الإلكتروني) محتكرة في معظمها للغربيين خاصة أمريكا التي تحصل على نصيب الأسد من هذه التجارة، حيث بلغت حصتها في هذا السوق نسبة قريبة من النصف والباقي لبقية العالم، وخاصة الدول الغربية الأخرى، بينما الدول النامية لا تحصل إلا على واحد بالألف.

- خمس دول غربية فيها ١٧٢ شركة من أصل ٢٠٠ شركة كبيرة في العالم، وهي: أمريكا، واليابان، وفرنسا، وألمانيا، وبريطانيا. وهناك ٣٥٠ شركة كبرى لهذه الدول تستأثر بما نسبته ٤٠٪ من التجارة الدولية، وبلغت الحصة المئوية لأكبر عشر شركات في قطاع الاتصالات ٨٦٪ من السوق العالمي.

- أوضح تقرير الثروة العالمية للعام ٢٠٠٤م أن أغنى أغنياء العالم ٥٨٧ ملياردير يملكون ١,٩ تريليون دولار أي ما يساوي خُمس الاقتصاد الأمريكي، وهذا يعادل ما يملكه ٤٥٪ من سكان العالم أي حوالي ٢,٩ مليار شخص؛ حيث إن عدد سكان العالم في ٢٠٠٥م هو ٦,٥١٠ مليار نسمة.

- الدول الصناعية المستفيدة من العولمة يعيش فيها أقل من ٢٠٪ من سكان العالم.

- هناك توقعات بازدياد البطالة والفقر مستقبلاً؛ فحوالي ٣٠٪ من طاقات العمل تكفي حينما تدخل التقنية الإلكترونية في الإدارة وفي سوق العمل، وقد قدرت منظمة العمل الدولية عدد العاطلين عن العمل مع بداية عام ٢٠٠٤م بنحو ١٨٦ مليون شخص مقارنة بـ ١٤٠ مليون قبل خمسة أعوام، الأغلبية الساحقة في الدول النامية، وذلك حسب توقع منظمة العمل الدولية (ilo.org)، وحسب مدير منظمة العمل العربية فإن ٢٥ مليون عاطل في العالم العربي سيصلون إلى ١٠٠ مليون في غضون عشرين سنة إذا استمر الوضع الاقتصادي على وتيرته الحالية.

- الأرباح المتوقعة من اتفاقيات منظمة التجارة العالمية قد تصل إلى ٢٠٠ مليار دولار، معظمها يذهب إلى الشركات الغربية؛ بينما لن يحصل العالم العربي إلا على ١٪ منها.

- كل خمسة دولارات في العالم يملك الغرب أربعة منها، ويترك دولاراً واحداً فقط لبقية مناطق العالم الأخرى.

- وفي مجال التكنولوجيا أُنتجَ مليار كمبيوتر (مارس ٢٠٠٤م) ستتضاعف في عام ٢٠١٠م منها ٤٠٪ توجد في أمريكا؛ بينما نجد واحداً من كل ثلاثمائة إفريقي يملك خطاً هاتفياً واحداً، ونجد أن ٨٠٪ من مليار

مشترك في الهواتف الخلوية هم من العالم الغني وحصة الشرق الأوسط منها لا تتجاوز ٣٪؛ بينما توصف بنغلادش بأنها صحراء هاتفية.

الخطر الثقافي:

محاولة صهر الثقافات الموجودة في ثقافة واحدة هي الثقافة الغربية ولا سيما الأمريكية، وجعلها النموذج العالمي؛ مستغلةً التقدم التكنولوجي في مجال الاتصالات، وما ترسله عبر الفضائيات من سيل جارف من المواد الإعلامية، وتفريغ العالم من الهوية الوطنية والقومية والدينية، وهو الأمر الذي أثار وزيرة الثقافة الدانماركية عندما اشتكت من هيمنة الثقافة الأمريكية، وقالت: لم يعد يُحتمل هذا الغزو.

ومن مظاهر ذلك أيضاً:

- يوجد في العالم ٦٠٠٠ لغة، لكن ٩٠٪ من برامج الإنترنت تبث باللغة الإنجليزية؛ مما يسبب تهميشاً للغات الأخرى حتى اللغات الحية منها؛ مما دعا الرئيس الفرنسي شيراك إلى الدعوة إلى إقامة تحالف بين الدول التي تعتمد لغات من أصل لاتيني؛ للتصدي بشكل أفضل لهيمنة اللغة الإنجليزية؛ وذلك لدى افتتاحه منتدى حول تحديات العولمة في ٢٠/ ٣/ ٢٠٠١م. ومن المعلوم أن الوكالة الفرنكفونية والمنظمة الدولية للفرنكفونية أنشئتا لهذا السبب. كما أفادت دراسة لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة نشرت في ٨/ ٢/ ٢٠٠١م أن نصف اللغات المحلية في العالم في

طريقها للزوال، وحذرت الدراسة من أن ٩٠٪ من اللغات المحلية سوف تختفي في القرن الحادي والعشرين.

- استخدام بعض الصكوك الدولية والقوانين عند بعض الدول للضغط من أجل تغيير الهويات وصهر الثقافات، وكمثال على ذلك قانون (التحرر من الاضطهاد الديني) الأمريكي الذي تستخدمه في التدخل بشؤون العالم الإسلامي بدعوى حماية الأقليات، وإتاحة حرية ممارسة العبادة، وإقامة دور لها.

- الآثار الثقافية السلبية التي يمكن أن تنشأ من السير في فلك منظمة التجارة العالمية؛ حيث تتيح تفسيرات قوانينها الاعتداء على الخصوصيات الثقافية بدعوى تسهيل انسياب حركة التجارة العالمية.

الخطر الأخلاقي:

- وذلك بما يبث عبر شبكات التلفزة والإنترنت من أفلام جنسية ومواد إعلامية تروج الفاحشة والرذيلة، وما يحققه الانفتاح العالمي من فرص لترويج الأنشطة غير الأخلاقية وتسهيل ذلك، وقد جاءت دعوات من العديد من المؤسسات في العالم لمواجهة الخطر الأخلاقي للعولمة، وعقدت ندوات ومؤتمرات من آخرها مؤتمر إسطنبول بعنوان «العولمة والقيم الأخلاقية» في سبتمبر ٢٠٠١م، حضره مندوبون من ٣٠ دولة، ومن مظاهر هذه المخاطر:

- بلغ هذا النوع من المواد والأفلام من الكثرة لدرجة أن ألمانيا التي يسمح قانونها؛ بعرض العملية الجنسية على المسرح مباشرة أمام المشاهدين، قامت بإغلاق ٢٠٠ موقع إباحي عام ١٩٩٦م. ولقيت تلك البرامج رواجاً كبيراً لدرجة أن استفتاءً في بريطانيا أظهر أن نسبة ١ : ٣ من طلاب المدارس الثانوية يشاهدون أفلاماً إباحية.

- أعلن مركز البحوث القومي في الولايات المتحدة الأمريكية أن المواقع الإباحية تحقق أرباحاً هائلة تصل إلى مليار دولار أمريكي سنوياً، وأوضحت البيانات التي عرضها موقع N2 H2 والموجود في سياتل، والذي يتابع أعداد المواقع الإباحية على شبكة الإنترنت أن الأرقام قد وصلت إلى ١٨ ضعفاً خلال الأعوام الستة السابقة لعام ٢٠٠٤م، وأنه في نهاية العام ٢٠٠٣م وصل عدد المواقع إلى ما يقارب مليوناً وثلاثمائة ألف موقع إباحي على شبكة الإنترنت، تضم ما يصل إلى مائتين وستين مليون صفحة، وأوضحت أن البحث في محرك «غوغل» عن مواقع إباحية يؤدي إلى العثور على أكثر من ثمانين مليون صفحة؛ أي حوالي ٣٠,٧٪ من جملة الصفحات.

هذا بالإضافة إلى المواقع التي تشرح طرق المخدرات ووسائل استخدام العنف، علماً أن نحو ٩٠٪ من الأفلام الأمريكية قائمة على العنف.

- استخدام جسد المرأة أداة نفعية مادية؛ وذلك بتضخيم الجانب الشهواني؛ حيث تعد المرأة سلعة يمكن تسويقها من خلال العروض التلفزيونية والإعلانات. وكذلك تعد المرأة آلة لتسويق السلع الاستهلاكية لمستحضرات التجميل والأزياء، ويظهر ذلك من خلال عروض الأزياء، ومسابقات ملكات الجمال. وقد توسعت مسابقات ملكات الجمال لتشمل ملكات جمال الإنترنت؛ فاستخدم جسدها وصوتها وشكلها لتعظيم المنفعة المادية.

وقد ظهر بذلك معنى قول النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفاحش.. الحديث» (متفق عليه).

وقوله في حديث آخر: «إن من أشراط الساعة أن يُرفَع العلم، ويظهر الزنا» وفي رواية مسلم: ويفشو الزنا (متفق عليه).

الخطر الاجتماعي:

ويتمثل ذلك بمحاولات الدول الغربية تحت مظلة الأمم المتحدة فرض أنموذجها الاجتماعي، وفرض قيم المجتمع الغربي المختلة في مجال الأسرة والمرأة على العالم؛ من خلال المؤتمرات الدولية في المجالات الاجتماعية المختلفة، ومن خلال المؤتمرات الإقليمية ولجان المتابعة لتوصيات هذه المؤتمرات المتعددة والمنتشرة، والتي تدعو إلى اعتماد النموذج الغربي في الحياة الاجتماعية والسكان، كما أن توصيات هذه

المؤتمرات قد تصل إلى ما يشبه القرارات الملزمة. ومن الملفت أن رئيسة جمعية الأمهات الصغيرات في أمريكا حذَّرت المسلمين في مؤتمر السكان في القاهرة عام ١٩٩٤م بقولها: «لقد دمروا المجتمع الأمريكي، وجاؤوا بأفكارهم للمجتمعات الإسلامية حتى يدمروها، ويدمروا المرأة المسلمة، ودورها فيها»(١).

ومن أبرز توصيات هذه المؤتمرات:

- الحرية الجنسية، وإباحة العلاقات الجنسية خارج إطار الأسرة، وتقليل قيمة الزواج.

- تكريس المفهوم الغربي للأسرة، وهو أنها تتكون من شخصين فأكثر ولو كانا من نوع واحد.

- إباحة الشذوذ الجنسي بكل أنواعه، ومن المعلوم أنه مُقَرٌّ في بعض القوانين الغربية.

- فرض مفهوم المساواة الشكلي بين المرأة والرجل في الحقوق والواجبات والحياة العامة.

ومن مظاهر الاستجابة لهذه العولمة الاجتماعية في العالم العربي نلاحظ:

- تزايد النشاط النسوي الوافد بما يحمله من فكر تغريبي، ومثاله:

(١) سقوط الحضارة الغربية - رؤية من الداخل.

الخطة الوطنية لإدماج المرأة في التنمية في المغرب (٢٠٠٠م)، وقد أعيد طرحها عام ٢٠٠٣م.

- الاتجاه لإعادة النظر في قوانين الأسرة في العالم الإسلامي، كما حصل في مصر أخيراً والمغرب.

- تزايد التمويل الأجنبي المشبوه لمنظمات وهيئات نسوية أو معنية بشؤون الأسرة والمرأة في المجتمعات الإسلامية؛ لإخراج المرأة من نسق الحياة الاجتماعية الإسلامية.

- طرح مناقشات وبرامج حول المرأة في المجتمعات المحافظة، كما حصل في بعض دول الخليج أخيراً.

خطر الفوضى العالمية:

تتيح التقنية وسائل جديدة للمجرمين واللصوص وتجار المخدرات؛ حيث إن توحد السوق وضخامة ما يضخ فيه من مال يغطي عمليات السرقة، وغسيل الأموال؛ فتكثر عصابات المافيا وأساليب الاحتيال، وقد تغري بدخول أجهزة استخبارات لبعض الدول وسط معمعة الفوضى لتحقيق أغراض مالية أو سياسية. ومن مظاهر ذلك:

- مواقع على الإنترنت فيها إرشادات للمجرمين؛ حتى وصل الأمر إلى أن يناقش هذا الموضوع في الكونجرس الأمريكي تحت عنوان: «الإنترنت وعلاقته بالإرهاب».

- عشرات الألوف من المواقع على الإنترنت تشرح طرق استعمال المخدرات، ووسائل استخدام العنف.

- سرقة البرامج؛ حيث قُدّرت قيمة البرامج المسروقة في عام ١٩٩٣م ببليوني دولار.

- أكدت أجهزة الاستخبارات الأمريكية ومكتب التحقيقات الفيدرالي FBI بأنها تحقق في قضية قرصنة طالت بطاقات ائتمان لشركات عالمية. وقدرت (ماستر كارد) أن القرصان استطاع اختراق معلومات والدخول إلى حسابات ثمانية ملايين عميل يحمل بطاقة ائتمان بمافيها ٢,٢ مليون بطاقة من بطاقاتها، بينما قالت (فيزا كارد): إن ٣,٤ ملايين بطاقة تعرضت للاختراق، على حين لم تعلن (أمريكان إكسبرس) عن عدد البطاقات التي تعرضت للقرصنة.

وتبلغ عدد بطاقات فيزا، وماستر كارد داخل الولايات المتحدة الأمريكية حوالي ٥٦٠ مليوناً، والمعروف أن فيزا، وماستر كارد لا تضمنان الحقوق القانونية للعملاء، إذا ما تم استخدام حساباتهم بطريقة غير قانونية أو مزورة. (arbic.cnn.com)

- إفساد البرامج داخل أنظمة الكمبيوتر، ويحكم ترابط شبكات الكمبيوتر والمعلومات بعظم الإفساد، وكمثال قريب لذلك فيروس «الحب». وما زالت محاولات نشر الفيروسيات عبر الإنترنت والبريد

الإلكتروني مستمرة.

هذه جوانب من المخاطر، وهناك جوانب أخرىٰ لم نتطرق إليها لوضوحها للمراقب والمتابع، ومنها خطر العولمة الاقتصادية، ذلك الغول الخطر الذي يهدد دول الجنوب عامة، ويمكن أن يحولها إلىٰ شبه ملكية خاصة للشركات الغربية العملاقة المتعددة الجنسيات.

* * *

مستقبل العولمة

سوف تصطدم العولمة بمفهومها الغربي واستحقاقاتها ـ والله أعلم ـ بطبيعة تكوين المجتمع الإنساني، والفطرة التي فطره الله عليها من اختلاف وتنوع وأشكال وألوان بشرية وفكرية وحضارية، ومن لغات وأديان متباينة، قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨ – ١١٩]. وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢]، والتاريخ خير شاهد علىٰ ذلك؛ لتحقيق سنَّة الله في المجتمعات وقانونه: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

ويظهر ـ والله أعلم ـ أن هيمنة الغرب ـ وبخاصة أمريكا الدولة المركزية في عملية العولمة ـ لن تستمر طويلاً؛ وذلك بحسب استشراف الأمريكان أنفسهم لمستقبل دولتهم، وممن تنبأ بالسقوط وليس التراجع (بول كندي) في كتابه (سقوط وقيام الإمبراطوريات)؛ حيث تنبأ بسقوط أمريكا عام ٢٠٥٠م، وذلك عندما تزداد الالتزامات علىٰ القوة الحقيقية للإمبراطورية، ولكن بالمدىٰ المنظور سوف تتراجع من أن تكون الدولة العظمىٰ الوحيدة، وإن كانت ستبقىٰ ذات مركز عالمي مهم لكن ليس

مهيمناً؛ للأسباب الآتية:

١ ـ أن فكرة العولمة ليست مشاقفة بين المجتمعات وحواراً بين الحضارات، والتي من شأنها أن تتلاقح فيها الحضارات مع الاحتفاظ بالخصوصيات، وإنما هي هيمنة نمط حضارة واحدة بكل ما تحمله من ازدواجية في المعايير، وتناقض في القيم، وفوضى في الحياة الاجتماعية، وهذا يؤدي إلى روح المقاومة والمغالبة من الآخرين، حينما تبدأ عملية الاختراق والتحدي الثقافي والفكري والاقتصادي والسياسي.

٢ ـ أن طبيعة الإنسان حينما يملك القوة ولا يضبطه منهج رباني، ولا يجد مقاومة مكافئة، هي كما قال الله ـ تعالى ـ عنه: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وقال: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢١]. ولذلك سيكثر الظلم والبغي والابتزاز ومحاولة السيطرة على موارد الآخرين من قِبَل الأقوياء. وأما دعاوى الحرية والمساواة وحقوق الإنسان؛ فتلك داخل مجتمعاتهم؛ وتستخدم خارجها من أجل مزيد من الهيمنة في الغالب، وهذا سيزيد من حجم العداء وإثارة روح المقاومة.

٣ ـ أن أيديولوجية العولمة ـ والتي تقوم على الترغيب بمجتمع الليبرالية الغربية كما لدى تيار فكرة (نهاية التاريخ)، وعلى الترهيب من الصدام الحضاري كما هو الأمر لدى تيار (صدام الحضارات)، وهما تياران

نخبويان أمريكيان يستشرفان علاقة الغرب بالعالم الآخر، والفكرتان توحيان بأن هذه الأيديولوجية تسعى إلى محاولة إلغاء الخصوصيات الحضارية بالترغيب والترهيب؛ وهي بذلك تخالف طبيعة الأشياء؛ مما يسبب قيام تيار معاكس في كل حضارة، ولا سيما الحضارات التي تملك عناصر القوة والمنعة، ثم يحصل الصراع الذي يعتقده هنتنجتون في فكرة الصراع، والإسلام في طليعة تلك الحضارات، خاصة في ظل استهداف الإسلام بخصومة ضخمة بالرغم من حالة ضعف المسلمين.

٤ ـ أن توقع تحول العالم إلى ولايات أمريكية، كما يعتقد أحد مؤلفي «فخ العولمة» في ندوة له بالرياض عام ٢٠٠١م، هو مخالف للسنَّة الإلهية التي تحكم هذا الكون، ولسنَّة التدافع والصراع التي تحكم العلاقة بين الحق والباطل منذ وجود الإنسان على هذه الأرض. فالاختلاف والتدافع والصراع كانت من سمات الحياة البشرية عبر التاريخ؛ بسبب الاختلاف بين الحق الذي جاء به الأنبياء والباطل الذي تدعو إليه الشياطين، أو بسبب نوازع النفس البشرية وأنانيتها وعنصريتها وظلمها وبغيها على الآخرين. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠] وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨ ـ ١١٩].

٥ ـ أن وجود الطائفة المنصورة التي أخبر عنها النبي ﷺ إلى نهاية الزمان، والتي هي من قدر الله في هذه الأرض، يتناقض مع الدعوى العريضة لهذه العولمة والمبشرين بها. بل فيه إشارة إلى أن ظهور هذه الطائفة على من خالفهم سيكون في بعض المراحل على ظلمات وظلم هذه العولمة، وأن عدم تضررهم بمن خذلهم إشارة إلى بعض الفئام من المسلمين الذين سيركبون قطارها.

وعلى أرض الواقع نشاهد ما يلي:

١ ـ المشكلات الداخلية مثل: التفكك الأسري ـ المخدرات ـ الطبقية: أكثر من ٣٦ مليوناً في أمريكا تحت خط الفقر حسب التقرير السنوي لمركز الدراسات الاجتماعية الأمريكي، وفي الاتحاد الأوروبي ٥٠ مليوناً تحت خط الفقر، وفي أمريكا ١٪ من الناس يملكون ٤٠٪ من الثروة.

٢ ـ الأمراض الناتجة من التحلل الأخلاقي (الإيدز): تشير تقديرات منظمة الصحة العالمية (الغرب له نصيب كبير من هذه الأرقام):

ـ حتى عام ٢٠٠٠م هناك ٤٠ مليون مصاب بالإيدز، والنساء أكثر إصابة بهذا المرض.

ـ عدد المتوفين بسبب الإيدز منذ بدء ظهور المرض منذ أواخر السبعينيات، حتى نهاية ٢٠٠٤م حوالي ٣٣ مليوناً، أكثر من ٦ ملايين منهم من الأطفال تحت سن ١٥ سنة.

ـ ٢٧٠ مليون حالة جديدة من حالات الإصابة بأمراض انتقلت عن طريق الاتصال الجنسي ودراسات تقول إن هذا يمثل ربع الرقم الحقيقي.

٣ ـ الفوضى الأخلاقية: وهي إحدى مظاهر القصور في مجتمعات الحضارة المعاصرة، وهذا المظهر مع غيره من جوانب قصور أخرى تخفف من بريق هذه المجتمعات وتزهّد فيها، ومن أمثلة ذلك:

ـ في بعض الدول الأوروبية ٦٥٪ من النساء العاملات يتعرضن للتحرش الجنسي في أماكن عملهن، وعلى مستوى كل دول الاتحاد الأوروبي تبلغ النسبة ٣٥٪، وهذا بحسب مسؤولة التوظيف والسياسة الاجتماعية في المجلس الأوروبي في بروكسل.

ـ حوالي ١٨٪ من النساء في أمريكا اغتُصبن أو تعرضن لمحاولة اغتصاب في مرحلة من مراحل عمرهن، وأكثر من نصف الضحايا كن تحت سن ١٧ سنة حينما تعرضن للاغتصاب للمرة الأولى، وهذا بحسب دراسة أعدت بتكليف من وزارات العدل والصحة والشؤون الاجتماعية في أمريكا.

ـ وفي الجيش الأمريكي حسب إحصائية البنتاجون مؤخراً هناك ٤٣ طالبة من بين ٥٧٩ طالبة في كلية القوات الجوية اغتصبن من قبل زملائهن، كما أن ١٠٩ طالبات؛ أي ما يمثل حوالي ١٩٪ تعرضن لاعتداءات جنسية من قِبَل الزملاء العسكريين (cnn.com)، وحسب تقرير

(fbi.gov) FBI فإن حوالي مائة ألف حالة اغتصاب وقعت في أمريكا عام ٢٠٠٤م.

- كثرت التحرش الجنسي في السنوات الأخيرة في اليابان؛ حتى بات من الضروري وضع قانون وطني لمكافحته؛ وذلك بحسب رأي خبيرة القضايا القانونية في الحزب الديمقراطي. وجاء في هذا الصدد أن شركة القطارات في اليابان تفكر جدياً بتخصيص عربات خاصة بالنساء، وقد بدأ تطبيق ذلك أخيراً، علماً أن عربات النساء الليلية موجودة منذ سنين في أوروبا.

٤ - ظهور ملامح صراع بين أمريكا وبعض الدول الغربية؛ بسبب الاختراق الثقافي والاقتصادي، كما حصل مع فرنسا ومع كندا حينما احتجتا على الهيمنة الأمريكية على حساب الثقافة المحلية والامتيازات الاقتصادية. كما أن الاتحاد الأوروبي طلب رسمياً إدراج حرفي eu في عناوين الشركات الأوروبية على الشبكة المعلوماتية؛ بدلاً من com في عناوين الشركات الأمريكية. وسبق ذكر موقف الرئيس الفرنسي السابق ميتيران من ظاهرة لبس الجينز، وموقف الرئيس شيراك من الغزو اللغوي.

٥ - توقع ظهور مراكز قوى جديدة عسكرية واقتصادية (الصين، الاتحاد الأوروبي، اليابان)؛ يمكن أن تنافس أمريكا وتنهي بذلك حقبة القطبية الأحادية؛ وخاصة مع ما يتوقع من أن أمريكا ستبدأ مرحلة انكفاء

على الذات على حساب الهيمنة العالمية في غضون السنوات العشرين القادمة؛ حسب دراسات أمريكية.

٦ - مقاومة العديد من دول العالم - خاصة النامية - للعولمة، أو على الأقل عدم الاستسلام لشروطها القاسية؛ انطلاقاً من الشعور لدى الكثيرين من أبناء هذه الدول بأن العولمة تستهدف القضاء على خصوصياتهم الثقافية وتميزهم الحضاري، ولما ترى لها من أثر في تقليص السيادة الوطنية في مجال صنع السياسات الاقتصادية وغيرها، وخشية التعرض للصدمات الخطرة كما حصل لبعض هذه الدول، حيث ترى أن الأزمات المالية والاقتصادية الطاحنة التي ألمت بالمكسيك عام ١٩٩٤م، والبرازيل عام ١٩٩٩م وروسيا عام ١٩٩٨م، والأزمة الآسيوية عام ١٩٩٧م، وفي غيرها؛ كانت نتيجة حتمية للعولمة والاندفاع إلى الاندماج فيها دون قيد وشرط، وأن الطبقية التي تحصل في بعض الدول كمصر، والمتوقعة في أخرى كدول الخليج التي سارت في قطار العولمة، أو التي تستعد لركوبه مؤشر آخر على ذلك. وكمثال على ذلك السعودية التي كان من المقرر أن تنضم لمنظمة التجارة العالمية في نهاية عام ٢٠٠٠م، لكنها قاومت إلى حد ما الخضوع للشروط، واستمرت في المفاوضات إلى الآن. ولذا فإن تشجيع استمرار دور مجموعة الـ ٧٧، ومجموعة الـ ١٥، وحركة عدم الانحياز، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، والجامعة العربية، والمنظمات الإقليمية؛ في كبح جماح العولمة المتوحشة برياتها

الأمريكية أمر مطلوب لصالح الجنس البشري عامة.

٧ ـ الأزمات العسكرية والثقافية والاجتماعية، والشعور بالتفكك الداخلي لدىٰ الغرب؛ تزداد عمقاً، كما أنه يزداد عجزاً عن فرض سياسته، وإن تم له ذلك فبتكاليف باهظة.

٨ ـ ازدياد وعي جماهير العالم الثالث، وخاصة العالم الإسلامي، وازدياد فهم النخب لقواعد اللعبة الدولية، وبروز روح تمرد عند دوله علىٰ الهيمنة الغربية (نموذج الدول الأفريقية مع ليبيا في مشكلة لوكربي)، حيث تمردت دول منظمة الوحدة الإفريقية علىٰ الحصار الجوي المفروض علىٰ ليبيا، وتهديد الدول العربية بالتمرد أيضاً كما في توصيات مؤتمر القمة العربي في عمان، وقد قال كاسترو يوماً ما: «تمرد الصغار كفيل في النهاية بأن يهزم الكبار».

٩ ـ إخفاق بعض الأطروحات الغربية (تحرير المرأة) في تلك المجتمعات، لدرجة أن باحثة أمريكية أصدرت كتاباً باسم: «أخوات في الجريمة»، ترىٰ أن تحرر المرأة سوف يزيد من إجرامها، وأنه يمكن التعامل مع الحالة الإجرامية للمرأة كمؤشر علىٰ درجة التحرر التي تحققها في المجتمع. وأوردت بعض الإحصائيات التي تدعم وجهة نظرها، وكمثال علىٰ هذا الإخفاق خريطة النساء في البرلمانات: من إحصائية عام ١٩٩٣م الصادرة عن الاتحاد البرلماني الدولي إلىٰ إحصائية عام ٢٠٠٤م

لم يتجاوز معدل وجود المرأة في البرلمانات في العالم من ١٠٪ ـ ١٣٪، وفي البرلمانات العربية أقل من ٥٪؛ بالرغم من الدعاوىٰ والجهود المبذولة منذ مطلع القرن؛ من أجل تحقيق مساواة بين الرجل والمرأة، وإلغاء التخصص بين الجنسين علىٰ أساس وظيفي، ومن آخر ردود الفعل ظهور ما يسمىٰ بروابط العذراوات؛ بسبب الموقف السلبي من عذرية الفتاة غير المتزوجة في المجتمعات الغربية.

١٠ ـ مصيدة الديمقراطية وحقوق الإنسان؛ جعلت الغرب يظهر بعدم صدقه فيما يدعو له، وبأنه صاحب معايير مزدوجة، وهو كذلك، كما حصل مع الصين ومع الاتحاد السوفييتي أيام الحرب الباردة، وهو كذلك الآن حينما تأتي الديمقراطية بخصوم الغرب إلىٰ الحكم، أو تأتي حقوق الإنسان بنتائج علىٰ حساب بعض أصدقائهم في دول العالم الثالث، ولذا سكت الغرب عن انقلاب العسكر علىٰ الديمقراطية في كل من نيجيريا والجزائر، وهذا يُظهر الغرب بعدم صدقه في ادعائه حماية القيم.

١١ ـ ظهور بوادر إخفاق وعود العولمة ومبشريها في تقليل الفجوة بين الشمال والجنوب علىٰ مستوىٰ العالم، وعلىٰ مستوىٰ الدولة الواحدة؛ فالعولمة تمنح الفرص للشريحة الغنية الضيقة، وتظل الشرائح الكبيرة علىٰ مستوىٰ الدول والأفراد تعاني ويلات العولمة؛ مما يعني تكريس الظلم واللامساواة الاجتماعية. ومن طريف ما كُتب في كتاب: (عالم

منفلت Runway World) : أن العولمة التي توصف بأنها حولت العالم إلى قرية معولمة صغيرة global village ؛ قد حولته أيضاً إلى عملية نهب معولمة صغيرة global pillage .

١٢ ـ ظهور تيار عالمي مناوئ للعولمة له جمعياته ومنظماته ومنتدياته داخل الدول الصناعية ؛ مثل المنتدى الاجتماعي العالمي المناهض لمنتدى (دافوس)، والتنسيق العالمي المناهض لمنظمة التجارة العالمية، وهناك ٥٣٠ منظمة شعبية عالمية تناوئ العولمة . ويقوم هذا التيار بدور التوعية بمخاطرها وآثارها السيئة على المجتمعات، ويحاول الاحتجاج عليها وإبطال أي فعالية لدفع ودعم تيارها ؛ مثلما حدث في (سياتل، ودافوس، ومونتريال، وجنوا أخيراً). وتظهر عدائية عدد من منظمات المجتمع المدني الغربي للعولمة في الولايات المتحدة الأمريكية بشكل أقوى ؛ كالمنظمات العمالية، واتحادات الشغل التي تراقب أثر عولمة الاقتصاد في معدلات أجور العمال وعلى نسبة البطالة .

* * *

كيف نستثمر آليات العولمة؟

كما أن للعولمة أخطارها الضخمة ؛ فإن هناك كثيراً من المكاسب والفرص والقيم المحايدة التي هي جزء من الحركة الفاعلة والإيقاع السريع لمعطيات العصر ؛ ليس أقلها تخفيف سيادة الدولة في الأنظمة الشمولية والإقطاعيات السياسية، وبروز مفهوم سلطة المجتمع . فالموقف العقلاني الرشيد ليس فقط المقاومة، وإنما نضيف إلى ذلك ما ينبغي أن يكون عليه موقفنا من استثمار الفرص السانحة باستخدام آليات العولمة بما يخدم المسلمين ويحافظ على هويتهم ويبرز موقفهم ويحمي كيانهم . ويصحح أوضاعهم خاصة أن العولمة أصبحت مسنودة بالتزامات دولية ودعم قانوني عالمي وآليات ومؤسسات أممية، ومن أمثلة هذا الاستثمار :

في مجال الإعلام والاتصالات :

ـ إن سهولة الاتصالات ونقل المعلومات ستُحدِث نقلة نوعية في أساليب الإدارة والعمل، فيستطيع الأفراد العمل من منازلهم في بعض الوظائف، وقد بدأت عدد من الشركات الأمريكية والأوروبية بتخصيص أوقات معينة لكي ينجز الموظفون أعمالهم الموكلة بهم من منازلهم دون الحاجة للحضور، وأغلب الذين يعملون بهذا الأسلوب من النساء ؛ فهذا الأسلوب سيتيح الفرصة أمام الأسر المحافظة والمجتمعات المحافظة لإنجاز

أعمال كثيرة عن طريق الإنترنت (العمل عن بُعد) دون الحاجة لخروج المرأة من منزلها وترك بيتها وأطفالها، وخاصة إذا علمنا أن نسبة استخدام النساء للإنترنت في مجتمع محافظ كالسعودية نسبة عالية بحسب إحصائية أخيرة.

- تحرير وسائل الإعلام وتطورها، وسهولة امتلاكها، وإنشاء القرى الإلكترونية الحرة؛ سيتيح مجالاً لأي فرد أو مجموعة أو منظمة تريد أن تقيم محطات فضائية أو وسائل إعلام أخرى؛ لنشر الإسلام والدعوة إلى الله، ونشر العلم، والدفاع عن المسلمين، والرد على الشبهات بحرية دون وصاية أو رقابة رسمية، أو الخضوع لأنظمة مقيدة، ومن أمثلة ذلك الجهود الحثيثة في أكثر من جهة لإنشاء قنوات فضائية إسلامية مستقلة داخل القرى الإعلامية الحرة المقامة في بعض الدول.

- التغطيه الإعلامية الواسعة للأحداث من خلال الفضائيات أتاحت تغطية واسعة لقضايا المسلمين، وقللت من فرصة الإعلام الغربي أن يعتِّم إعلامياً على قضايا المسلمين، أو يعرضها من وجهة نظره المنحازة في أغلب الأحيان، وكمثال على ذلك التغطية الواسعة لما يجري في فلسطين المحتلة؛ بحيث وضع العالم في صورة ما يحدث لحظة لحظة، وكشف ممارسات الصهاينة هناك. ولا شك أن الإعلام له تأثير مباشر على صنع الرأي العام الذي يؤثر في الأنظمة السياسية في سبيل تعديل مواقفها.

ومما هو جدير بالذكر أن صورة مقتل (محمد الدرة) التي أثرت بشكل ملحوظ في الرأي العام العالمي كانت لقطة لمصور وكالة الصحافة الفرنسية، وهذا أمر أغضب اليهود، وأغضبهم أكثر أن تكون من مصور وكالة غربية.

وفي المجال الاقتصادي:

مع التسليم بخطورة العولمة الاقتصادية على اقتصاديات الدول الضعيفة، وخطورة فتح الأسواق وتحرير التجارة في هذه الدول دون ضوابط، والذي سيكون لصالح الشركات الكبرى الغربية، إلا أن كثيراً من هذه الدول إذا أحسنت استخدام إمكاناتها وما تتميز فيه من موارد على غيرها من الدول الغربية، ورشدت سياساتها الاقتصادية، وحاربت الفساد المالي والإداري المستشري، ورفعت من قدرتها التنافسية؛ فإنه يمكنها أن توظف جانباً من هذه العولمة الاقتصادية لصالحها؛ فمثلاً:

- الانضمام لمنظمة التجارة العالمية يمنع أوروبا من وضع رسم ١٢٪ على المستوردات البتروكيمائية من الدول البترولية؛ فمثلاً الإنتاج السعودي من البتروكيمائيات يزيد على ٥٪ من الإنتاج العالمي؛ فكم ستكون الفائدة إذا أزيلت الحواجز الجمركية أمام هذه السلعة المتوفرة لدى الدول المنتجة للنفط ومعظمها دول إسلامية؟

- يتيح انضمام الدول المنتجة للنفط إلى المنظمة الفرصة للضغط بمعاملته

كسلعة صناعية من سلع المنظمة، فتزول الضرائب المفروضة عليه في الدول المستوردة. ففي تقرير لمنظمة الأوبك مؤخراً أظهر أن أكثر من ٧٠٪ من سعر النفط المصدَّر إلى دول الاتحاد الأوروبي يذهب إلى الشركات والحكومات، بينما يحصل منتجو النفط على أقل من ٣٠٪. كما أوضحت تقارير أخرى أن عائدات أربع دول أوروبية من ضرائب النفط في عام ١٩٩٨م يفوق عائدات كل دول أوبك من تصدير النفط في ذلك العام. فإذا علمنا أن معظم الدول المنتجة هي دول إسلامية، ومنها السعودية التي يعادل إنتاجها ١٣٪ من الإنتاج العالمي، يتبين مدى الفائدة المرجوة.

- كذلك فالانضمام إلى المنظمة سيدفع إلى إزالة معوقات كثيرة تقف في وجه التنمية، وإلى تحديث الأنظمة، وإلى وجود الشفافية لتصحيح مسارات التنمية، وإلى تحديث الإجراءات القضائية، وتخليص الأنظمة الحمائية التي لا تتمشى مع روح النظام الاقتصادي الإسلامي وتضعف هياكل الإنتاج، ومثاله الهيكلة القضائية الجديدة في السعودية للتوافق مع متطلبات المنظمة.

- انفتاح السوق مع ما يجلبه من سلبيات، إلا أنه سيدفع إلى التنافس الذي سيحكم طبيعة السوق الحر المفتوح، وهذا سيدفع إلى تخصيص مؤسسات عامة كثيرة؛ وخاصة قطاع الخدمات الذي يعاني من سوء في

الإدارة وضعف في الإنتاجية في معظم دول العالم الثالث، لتكون أقدر على المنافسة وأوضح للمحاسبة؛ فإذا كانت المنافسة عادلة والفرص متساوية فيسؤدي إلى ارتفاع مستوى الخدمات وتحسين مستوى المعيشة والرفاهية، وسيخلق بيئة عمل حيوية وفعالية أكثر للمجتمع.

- انفتاح السوق وإزالة العوائق النظامية سيتيح طرح البدائل الإسلامية في الخدمات، كالبنوك الإسلامية التي قيد انتشارها في عدد من البلدان مع نجاح التجربة؛ بحيث ستجد فرصتها في سوق الخدمات الحر، كذلك بدائل التأمين التعاوني الشرعي في مواجهة التأمين التجاري بصورته الرأسمالية.

- تتيح التقنية الحديثة للاستثمار (التجارة الإلكترونية) لمشاركة عدد من مستثمري دول العالم الثالث عبر القنوات المفتوحة، خاصة إذا استحدثت قنوات آمنة للاستثمار من الناحية الشرعية في أسواق البورصات العالمية، مثل محاولة عدد من المتخصصين في الاقتصاد الإسلامي إيجاد مؤشر إسلامي على «مؤشر داوجونز» باسم Dowjones' Islamic Index.

- على أننا نؤكد أهمية الدخول إلى عالم الاقتصاد المعولم من خلال تكتل عربي أو آسيوي أو على الأقل خليجي؛ فالتنمية لا يصنعها الانخراط في العولمة دون رؤية أو تنسيق.

وفي مجال الإنترنت :

- الإنترنت ثمرة من ثمار التقنية، كسرت احتكار الغرب للمعلومات، وأتاحت فرصة الوصول إلى المعلومات في المجالات المختلفة بالسرعة نفسها المتاحة للغربيين، سواء كانت معلومات علمية أو إخبارية. وإذا كان يقال إن العصر هو عصر المعلومات، وإن هيمنة الغرب هي بالمعلومات وذلك باستخدامه الفاعل لها؛ فإن هذه الفرصة أصبحت متاحة لغيرهم إلى حد كبير، فإذا أحسنَّا استخدام المعلومة، وعرفنا طرق الوصول إليها فسنستطيع أن نقلل الهوة بيننا وبين الغربيين في مجالات عدة.

- كذلك فالإنترنت منبر حُرّ دون رقيب، وميدان فسيح دون قيود لكل من يحسن استثماره واستغلاله، ويستطيع أي مفكر مسلم أو داعية مسلم أن يطرح ما يريد من خلال صفحات لا حصر لها، ويمكن نشر الإسلام والعلم الشرعي وإتاحته لكل من يطلبه دون عناء. ويمكن أن تصدر صحف ومجلات دورية دون قيد أو شرط. وكمثال على ذلك موقع (القوقاز) الذي يغطي أخبار المجاهدين الشيشان على شبكة الإنترنت؛ فلقد استطاع أن يحطم حاجز التعتيم الإعلامي عليهم، وأن يضع العالم في صورة ما يحدث هناك بشكل شبه يومي، وشكّل مصدراً مهماً لأخبار المجاهدين الشيشان لوكالات الأنباء العالمية.

- كذلك نستطيع استخدام هذه الشبكة في مجال الاحتساب العام؛ من خلال توسيع مجاله، وتطوير مفهومه ليتلاءم مع الآليات المتطورة. وبذلك نستطيع رفع فعالية المصلحين والمحتسبين على المنكرات العامة الدولية منها والإقليمية.

ومن أمثلة هذه المحاولات: إصدار وثيقة تستنكر أفعال الصهاينة بالفلسطينيين في بداية الانتفاضة الثانية، والتي وقَّعها مئات العلماء والدعاة والمفكرين والمثقفين في أنحاء العالم عن طريق الإنترنت. كذلك ما تجريه بعض القنوات الفضائية من التصويت على قضية من القضايا، وموقف من المواقف المهمة تجاه مستقبل الأمة ومصيرها، وما تطرحه بعض المواقع على هذه الشبكة من حشد التواقيع ضد قضية ظلم تجاه المسلمين وإرسالها إلى الظالمين. وكذلك ما تقوم به المنظمات الإسلامية في أمريكا، والمدافعة عن حقوق المسلمين مثل منظمة «كير» CAIR في واشنطن، واستخدامها الفعال للإنترنت في الاحتساب على منتهكي حقوق الإسلام والمسلمين. ومن أبرز الأمثلة في هذا الجانب توظيف معارضي العولمة أثناء قمة سياتل عام ١٩٩٩م أدوات العولمة لمواجهتها؛ حيث نظّم المعارضون جهودهم، ونسقوها عبر شبكة الإنترنت؛ مما أربك المؤتمر وساعد على إخفاقه، ثم ما حصل في مؤتمرات العولمة اللاحقة.

- استثمار تقنيات نقل المحاضرات، مثل تقنية غرف PAL TALK في نظام هذه الشبكة؛ حيث تستطيع أن تلقي دروساً، وتقدم محاضرات،

وتجري حوارات، وتدفع بردود على الهواء مباشرة بشكل مرئي ومسموع، ويُستمع إليك من كل أنحاء العالم؛ فلكَ أن تتصور مقدار المصالح التي يمكن أن تتحقق في باب الدعوة ونشر العلم، وإزالة الشبهات، وترسيخ المنهج. وقد استخدم هذا النظام في نقل بعض دروس الحلقات العلمية الصيفية بالسعودية، فكان المستمعون لها من كل أنحاء العالم يتابعون دروسها في الوقت نفسه الذي يستمع لها المشاركون في المسجد نفسه، ويطرح البعيدون أسئلتهم كما يطرحها القريبون، فإذا وُظفت هذه التقنيات وبلغات مختلفة لنشر الإسلام فتتحقق صورة من أعلام نبوة محمد ﷺ عندما قال: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين» الحديث (أخرجه الحاكم وصححه).

وفي المجال الثقافي والفكري والاجتماعي:

- نستطيع أن نوظف المشاركة في هذا النوع من المؤتمرات واللجان في طرح الرؤى الإسلامية في المجالات الفكرية والثقافية والاجتماعية، ونبين مخاطر قيادة الغرب للعالم في هذه المجالات؛ ببيان الآثار في الواقع، وأن ذلك ثمرة لحَيْدة البشرية عن مصدر الهدى والرشاد وهو الوحي. كما أن منتديات حوار الحضارات ستكون ميداناً فسيحاً لتقديم البدائل، وسنجد أننا استطعنا القيام بواجب الدعوة إلى الله والشهادة على الناس من خلال هذه المنتديات والفعاليات. وسنجد أننا نملك ما لا

يملكه الآخر، وأنه أتيحت الفرصة لنا لإبراز جوانب القوة التي نملكها أمام قوة الغرب المادية والتقنية. ولعله أن يهتدي مَنْ أراد الهدى من خلال الدعوة إلى المنهج الحق، وبيان محاسنه ومقارنته بفساد مناهج الآخرين.

ومما يشجع على ذلك نرى أنه بالرغم من تأثيرات الإعلام الغربي، وبخاصة الأمريكي في نشر نمط الثقافة والحياة الأمريكية في العالم عبر الفضائيات والأفلام والمجلات والإنترنت؛ فإن الدعوات الدينية والأخلاقية المضادة ما تزال تكسب أنصاراً جدداً في غير ما مكان من العالم، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا يجعلنا نتفق مع تأكيد صاحب كتاب: «توالد العولمة: التحولات والممانعة»، في تلازم التحولات العولمية، مع ازدياد تحولات الممانعة والمقاومة لها، وأن المنظومات الدينية، تُعَدُّ من أكبر المنتفعين من العولمة، ولا سيما من جهة استثمار وسائل الاتصال الحديثة، وتوظيفها لنشر رسالتها الدينية.

- كذلك يستطيع العرب المسلمون أن يُحدِثوا عولمة للغة العربية في أوساط المسلمين غير الناطقين بها، وذلك بما يضخونه من مواد علمية وفكرية وشرعية وقرآنية مكتوبة أو مسموعة؛ بحيث يعتاد المسلمون من غير العرب قراءة هذه المواد وسماعها؛ مما ينعش حيوية اللغة العربية؛ بسبب العلاقة الوثيقة بين اللغة العربية والدين الإسلامي. ومن جهة أخرى يمكن أن يؤدي ذلك إلى تقليل شأن اللهجات المحلية والقُطرية لصالح الفصحى.

خلاصة القول والموقف

خلاصة القول:

هذه أمثلة، وهناك فرص أخرىٰ كثيرة يمكن للمتأمل، والمتخصص أن يجدها فيما تتيحه المعطيات الجديدة المشكِّلة لبيئة العولمة، ولكن لا نعقلها وندرك كيفية استثمارها إلا بفهم عميق وإدراك ذكي لقوانين هذا العالم، وطبيعة هذه العولمة، ومعرفة جوانب القوة وجوانب الضعف في مراكز القوىٰ، وكيف ينشأ القرار العالمي، واستيعاب استخدام التقنية وتعميمها؛ بحيث لا تبقىٰ في محيط النخبة فقط.

الموقف:

إذا استثنينا اتجاه فريق يرىٰ المقاومة بالانعزال عن هذا العالم لضعف تأثيره وقلة مؤيديه وعدم قدرته علىٰ الصمود الطويل؛ فهناك اتجاهان بارزان يحددان مواقف النخب الفكرية من تيار العولمة:

الأول: اتجاه الذوبان والاندماج، وهو الذي ينطلق من أن العولمة محتوىً وآليات هي خيار وحيد وحتمي لهذا العالم، ولا بد من الذوبان فيها والانصهار الحتمي معها؛ ويمثله طائفة من المفكرين الليبراليين الجدد (المستغربين) وهم يرددون أفكار شيبمان نفسها في كتابه «أسطورة العولمة»

(globalization myth)، والتي يكذب به دعاوىٰ المناوئين للعولمة، ويسميها بالأساطير أو الخرافات. وهؤلاء كثيراً ما يتصدون للمواقف الأخرىٰ بأسلوب بات تقليدياً في وسائل الإعلام كالاتهام بالبعد عن الواقعية والانعزال عن العالم، أو التزمت الديني أو فكرة المؤامرة؛ رافضين كل تحذير عن مخاطر لم تعد تطرق الأبواب، وإنما اقتحمت أعماق الديار والبيوت.

والثاني: اتجاه نقدي عقلاني رشيد يحاول تفهم قوانين العولمة دون التسليم بحتمية القيم التي تجلبها، ويعرف كيفية مواجهة تحدي المحافظة علىٰ الهوية الإسلامية والثوابت العقدية والثقافية، مع معايشة العصر والتفاعل معه بفكر متفتح ورأي مستنير وسلوك رشيد، ويرىٰ أن التعامل مع دنيا العولمة لا يعني أنها واقع مؤرق يكسب الرهان دائماً، أو أنه نوع من الاستسلام المهين؛ لأن التعامل الواعي الرشيد، والتعايش الحذر، وتوظيف بُعدها التكنولوجي والمعلوماتي والحضاري الملائم؛ سيساهم في مواجهة الهيمنة بأسلحة العولمة نفسها، ولذا فإن الموقف الصحيح يقوم علىٰ مقاومتها فلسفةً، وقيماً مخالفة، واستثمارها وسائلَ وآلياتٍ وقيماً ملائمة.

ولذا نحتاج إلى ما يأتي:

أ- تعميق البعد العقدي والديني والخلقي؛ ذلك أن العولمة تحمل روحاً

علمانية مادية، وتؤسس حياة استهلاكية دنيوية تختزل الإنسان في بعده المادي والاستهلاكي، وتهوّن من شأن القيم والمعايير الأخلاقية والثوابت الدينية. والتركيز على التربية الدينية والأخلاقية للحماية من تيار الشهوات الجارف الذي تغذيه، وتدفع به فكرة العولمة من جهة الآليات والمحتوى.

ب- إبراز قيم التفوق الثقافي والفكري والأدبيات الحضارية المكافئة والملائمة لقيم العولمة الثقافية والحضارية، مثل: الشورى، والعدل، وحقوق الإنسان بأصولها الشرعية؛ بدلاً ممَّا يقابلها من القيم الغربية بأصولها العلمانية.

ج- المحافظة على الخصوصية الثقافية مع الانفتاح الذي يجعلنا نستوعب ما عند الآخرين من علوم وفهوم ومنجزات حضارية، ونمتنع عن التأثر السلبي لهذا الانفتاح.

د- قيام حركة تأصيلية نشطة لبعض قضايا المنهج، وتحرير المواقف العلمية والعملية من الأحداث المستجدة، ومواجهة النوازل المستجدة التي تفرضها طبيعة العصر بفقه واعٍ للسياسة الشرعية، والردود العلمية على الشبهات التي تنشرها بعض وسائل الإعلام.

هـ- الحذر من ظهور تيارات دنيوية، ومدارس منحرفة متأثرة بالاكتساح الحضاري تفسر الإسلام وأحكامه، وقيمه تفسيراً مداهناً لقيم

وفلسفة الحضارة الغربية، ويستجيب للروح المنهزمة التي يعيشها كثير من المسلمين.

و- الانفتاح والحوار الفكري والحضاري؛ عندما تمد أيدي الحوار، والامتناع والصراع عندما تسل سيوف الهيمنة الحضارية.

ز- الاستعلاء بالإيمان، والثقة بأن المستقبل لدين الإسلام ولهذه الأمة، وتحرير العقل من ثقافة الغرب المادية والولع بها، واليقين بأن ذلك طريق النهضة الإسلامية التي لا بد من الإيمان بها، وأنها من مقتضيات الولاء لهذا الدين والبراءة من خصومه، وهي من لب الرسالات وطرائق المرسلين، وأن لا نكون أقل من ذلك الرجل غير المسلم (ماندیلا) الذي أراد أن يحرر شعبه من هذه التبعية عندما قال: «حرِّروا عقولكم من ثقافة الرجل الأبيض تحرِّروا أرضكم من هيمنته».

ح- استخدام وسائل التقنية وآليات العولمة بكفاءة من أجل عولمة مضادة؛ وذلك في معركة الحوار الفكري أو الصراع الحضاري بين المشروع الغربي (التغريبي) وبين المشروع الإسلامي، وذلك من خلال عولمة الرؤى والمواقف الإسلامية، وتجاوز الروح والنظرة الإقليمية الضيقة في النظر إلى مستقبل الإسلام في أتون الصراع العالمي.

وأخيراً: هناك العديد من المفاهيم والممارسات السائدة في مجالات

عدة تعيق حركة التنمية في أبعادها المختلفة وهي سبب رئيس في تخلف المجتمعات الإسلامية، بالرغم من انتسابها إلى دين يدعوها إلى التحرر من كل عوائق الانطلاق في آفاق كل مصلحة في الدين والدنيا، فما لم نُزِلْ هذه العوائق من داخل أنفسنا ومن داخل عقولنا ومن أوساط مجتمعاتنا ونتحرر من شعورنا بالهزيمة والنقص تجاه أرباب العولمة ونعتز بديننا وقيمنا ونمتثل قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، فسنبقى فرائس صغيرة لوحوش غابة العولمة المتوحشة.

* * *

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
تمهيد	٣
مقدمة	٤
تعاريف	٥
أسئلة العولمة	٩
مجالات العولمة	١١
أولاً: المجال الاقتصادي	١١
ثانياً: المجال الاجتماعي	١٥
ثالثاً: المجال الفكري والثقافي	١٦
رابعاً: المجال السياسي	١٧
خامساً: المجال العسكري	١٨
آليات العولمة التقنية	١٩
مخاطر العولمة	٢٢
ـ الخطر المجتمعي	٢٢
ـ الخطر الثقافي	٢٧
ـ الخطر الأخلاقي	٢٨

الموضـوع	الصفحة
ـ الخطر الاجتماعي	٣٠
ـ خطر الفوضى العالمية	٣٢
مستقبل العولمة	٣٥
كيف نستثمر آليات العولمة؟	٤٥
ـ في مجال الإعلام والاتصالات	٤٥
ـ في المجال الاقتصادي	٤٧
ـ في مجال الإنترنت	٤٩
ـ في المجال الثقافي والفكري والاجتماعي	٥٢
خلاصة القول	٥٤
الموقف	٥٤
الفهـرس	٥٩